مكتب عنبر المدرسةُ العربيةُ الأولى ومصدر مقاومة الاحتلال

أنس تللو

بيتٌ دمشقيٌ قديم، لا كالبيوت في حجمه ولا كباقي الأمكنة في جمال عمرانه، بيتٌ يتميز بأن الداخل إليه للمرة الأولى يشعر بالخشوع والرهبة، ويدرك فوراً أن هذا المكان لا يمكن أن يكون مجرد مكان للسكن.

بيتٌ ليس بيتاً، بل هو أشبه بمتحف لعرض فنون العمارة العربية، تتسابق غرفه وأرجاؤه في التباهي بالتنسيق الفريد الذي تتحلى به.

فسحةٌ مسقوفة فصلت عن الداخل بحاجز خشبي، ثم رواقٌ جميل محمول على أعمدة حديدية فوقه شرفةٌ بهية، ثم باحة داخلية تتوسطها بحرةٌ من الرخام تحيط بها عريشةٌ استرخت أغصانها المتشابكة فشكلت فوق البحرة قبة جميلة، باحةٌ ملأى بالأشجار المزهرة أشجار الحمضيات كالليمون والكباد والنارَنج، وشجيرات الزينة كالياسمين والمليسة والشمشير والورد، فيها إيوانٌ رحبٌ يرتكز على أعمدة رخامية جميلة تتصدره قاعة فسيحة يُدخل إليها بباب زُيِّن إطاره بالمرمر، قاعةٌ لا كالقاعات، جمالٌ أخّاذ وفتنةٌ ناضرة؛ جدرانها مرصعةٌ بزخارف عربية تتخللها قطعٌ رخاميةٌ بديعةٌ بينها أحجارٌ ملونةٌ صغيرة مرصوفةٌ بأشكال هندسية جميلة، أرضها مفروشة بالرخام المفصص المضيء.

وإلى جانبها رواقٌ ضيقٌ يضم على جانبيه بابين يفضي كل منهما إلى باحة ثالثة وباحة رابعة لا تقلان فتنة عن سابقتيهما بل تتسابقان معهما في الفتك بالعيون وسلب القلوب وسبي العقول عبر فتنة واضحة وروعة أخاذة تكمل ما بُدئ به لدى مدخل مكتب عنبر الأول.

بيتٌ لا كالبيوت، قمةٌ في الروعة وبلاغةٌ في الإفصاح وبراعةٌ في السحر ودقةٌ في الإتقان.

بيتٌ لا كالبيوت، إنه آيةٌ من آيات الجمال والتنسيق والذوق الرفيع.

مكتب عنبر بيتٌ من بيوت الحكمة الإلهية سطرته يد الله في صفحة هذا الكون.

تاريخ مكتب عنبر

لقد كان مكتب عنبر هو الثانوية الوحيدة في دمشق بل في سورية كلها، وكان الطلاب يأتون إليه من كل مكان ليكملوا دراستهم.

يقع مكتب عنبر في شارع (مدحت باشا) وهو الذي يصل بين باب الجابية، والباب الشرقي.

تتصدره بوابةٌ كبيرة من صفائح وقضبان الحديد، وإلى جانبيها نافذتان، وفي أعلى الباب لوحة رخامية كُتِبَ عليها (مكتب إعدادية ملكية)، وهو الاسم القَديم لمكتب عنبر (قصر الثقافة الشعبية).

تم افتتاحُ مكتب عنبر عام ١٨٨٧ – ١٨٨٨م، وكان اسمه (مكتب إعدادية ملكية)؛ وكانت الدراسةُ فيه تصل إلى الصف التاسع فقط.

عندما بدأ زعماءُ الاتحادِ والترقي في استانبول بسياسة التتريك؛ أصبحَت اللغةُ التركيةُ اللغةَ الرسميةَ في جميع دوائر الدولة، واكتملت صفوفَ المكتب إلى الصف الحادي عشر ؛ فغدا ثانوية كاملة وأصبح اسمه (سلطاني مكتبي)، وصار جهازُه الإداري وجميعُ أساتذته من الأتراك، وبعد جلاء السلطة التركية عاد الوجهُ العربيُّ إلى البلاد، وأُطلقَ على مكتب عنبر اسم (مدرسة التجهيز ودار المَعلمين) بدلاً من سلطاني مكتبي، وتم اختيارُ أساتذة عرب للتدريس فيه، فقاموا بإذكاء الروح العربِيّة وبعثِ التراثِ العربي في صفوف طلاب مكتب عنبر.

أما في عهد الاحتلال الفرنسي فقد كان لمكتب عنبر الفضلُ الأكبر في بث روح الوطنية في صفوف المواطنين السوريين؛ وفي العام ١٩٣٥م انتقت وزارة المعارف مجموعةً من المعلمين المؤقتين الحائزين شهادة البكالوريا الثانية لتأهيلهم كمعلمين اختصاصيين فأحدثت في مدرسة التجهيز أي مكتب عنبر (صف التعليم العالي)، وفي العام نفسه تمَّ إنجازُ بناء مدرسة التجهيز الحالية؛ فانتقل طلاب وأساتذة (مدرسة التجهيز ودار المعلمين) أي مكتب عنبر في العام الدراسي ١٩٣٦ – ١٩٣٧، إلى البناء الجديد المعروف حالياً بالتجهيز، ثم سُميَّت مدرسة التجهيز باسم عالِم من علماء الرياضيات كان يدرِّس في مكتب عنبَر فأصبح اسمها ثانوية جودة الهاشمي.

ثم وبعد الاستقلال أصبح مكتب عنبر لعدِّة سنوات مقرّاً لمعهد التجهيز والفنون النسوية، ثم أصبح بناء مكتب عنبر (قصر الثقافة الشعبية) وقامت وزارة الثقافة بمساعدة محافظة مدينة دمشق بإجراء ترميمات وإصلاحات واسعة عليه، ما أعاد له رونقه وبهاءه ؛ فأصبح يتباهى اليوم بحلته القشيبة وفخامته، وغدا متعة للناظرين.

معلمو مكتب عنبر

كان يدرس العربية أستاذ مشهور جداً آنذاك هو الأستاذ سليم الجندي، الذي قيل عنه إنه ما يوجد تحت أديم السماء أعلم منه بالعربية وعلومها، ومن عباقرة الأساتذة أيضاً في مكتب عنبر الأستاذ الجليل عبد القادر المبارك... كان أستاذاً للغة... تفيض دروسه بالفوائد اللغوية الفريدة، وكان أعلم أهل زمانه بالقواميس، وكذلك كان الأستاذ الكبير الشاعر محمد البزم، ذلك الذي عَشقَ الفصحى، وفني فيها، فما تحدث بغيرها، وكَان مغرماً في اختيار الألفاظ.

وكانت لقاعة التدريس آنذاك قدسية في نظر الطلاب؛ اكتسبتها من هيبة المدرسين، لقد كان الطلاب آنذاك يعتبرون أساتذتهم الأسوة العظيمة التي يجب أن يحتذوها، كانوا يعتبرونهم آباء بمعنى الأبوة الحقيقية، يأخذون منهم العلم كما يقتبسون عنهم السلوك، ذلك أن المدرسين الآباء كان همهم الأوحد أن يهيئوا أبناءهم للحياة الحرة الكريمة.

على أن الأستاذ الأعجب آنذاك كان الأستاذ الكبير مسلم عناية أستاذ الرياضيات المشهور، ذاك الذي كان يتقن الفرنسية والألمانية والإنكليزية والتركية والفارسية والعربية، وكان موسيقياً بارعاً، كان يفوق الكثيرين علماً وذكاءً وفطنة وحدة في الذهن.

ومن نوادره أن الطلاب أكثروا مرةً من مناداته (أستاذ – أستاذ)، فقال: لو علمتم معنى هذه الكلمة لَما أكثرتم من استخدامها، إنها كلمة مشتقة من الفارسية ومعناها الفارسي (معقِّل المجانين).

ولا أنسى ذكر الأستاذ العظيم محمد الداوودي؛ عالمُ النحو والصرف، الذي كان يعتمد على رسم شجرة ليعلم الطلاب من خلالها النحو الصرف، والحقيقة أنه تمكن الداوودي من تذليل مادة النحو الصعبة بذوقه في تلقينها.

أما الأستاذ القواس أستاذ العربية الصارم فقد كان يحاسب الطلاب بدقة بالغة، وما كان أشد الحساب آنذاك، وما أصعب النجاح على الطلاب، الأستاذ القواس كانت له عبارة مشهورة، وهي: من يخطئ في إعراب كلمة واحدة، لا يحق له النجاح في البكالوريا.

واليوم أتساءل إذا كان الجيل الجديد يجهل كل هذه الأمور، فلماذا الجيل القديم يتجاهل أموراً كثيرة؟ منها هل حقاً قد تبدلت تلك القيم والمبادئ؟ مكتب عنبر كان المدرسة العربية الأولى في سورية التي تدرِّس اللغة العربية، فأيَّةُ منهجية تلك التي كان يعتمدها في تدريسه، وأيَّةُ وسائل تعليمية تلك التي كان يوفِّرها لطلابه، وأيةُ قاعات علمية تلك التي كانت يضمها في جنباته؟

رحم الله أيامك يا مكتب عنبر!

الكتاب

نبيل الملاح – باحث ووزير سابق

اطلعت مؤخراً على كتاب صدر بعام ٢٠٠٦ بعنوان: «حقيقة تيمورلنك العظيم تظهر في القرن الواحد والعشرين»، جمعه وحققه عبد القادر يحيى الشهير بالديراني عن محمد أمين شيخو.

في النظرة الأولى استغربت عنوان هذا الكتاب حيث إنه راسخ في عقلنا ووجداننا وقرأناه في كتب التاريخ المدرسية عن بشاعة ما ارتكبه تيمورلنك في بلاد الشام، فلقد هاجم المغول مدينة دمشق هجوماً عنيفاً واستطاعوا اقتحام إحدى بواباتها إلا أن أهل دمشق استطاعوا ردهم بل أسر عدد كبير منهم ما أعيا تيمورلنك فعمل على الاستيلاء عليها بالحيلة، وأمر أهل المدينة أن يجمعوا له مبلغاً كبيراً من المال عجزوا عن جمعه، فقام جيشه بنهب المدينة بأكملها وأنزلوا صنوف العذاب بأهلها وسحقوا الرجال بعصارات الزيتون ودفنوا أحياء ليقوموا بإخراجهم قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة ويقوموا بتكرار ذلك ويسحلون الناس في الشوارع عن طريق ربطهم بالخيول وقاموا بتجميع عدد كبير من الناس في مسجد بني أمية وإحراقهم فيه.

وعندما تصفحت عناوين هذا الكتاب وجدتها تبرر ما قام به تيمورلنك وتعتبر غزواته الهمجية «حملات تأديب وإصلاح»؟! قبل انهيار الإسلام الكلي، ووصفه باللبيب المصراع الهمام الحازم والمؤمن الذي يحيط آل البيت بهالة متميزة من الاحترام والفاتح العظيم أعظم القادة العسكريين؟! وجاء فيه أن العلامة الكبير محمد أمين شيخو بين في كتبه الصحيحة الحق والحقيقة التي ينشدها الله ورسوله الكريم وبموافقة القرآن الكريم. استغربت هذا الكلام لأنه يتناقض مع حقائق التاريخ، واستغربت واستهجنت أكثر اعتبار ما كتبه محمد أمين شيخو «الحق والحقيقة التي ينشدها الله ورسوله»!!

واستغربت الموافقة على نشر هذا الكتاب في دمشق وعرضه في مكتباتها؟!

وهذا ما دفعني إلى كتابة هذا المقال لأتحدث عن الكتاب وأهميته وضرورة فرض رقابة مشددة على نشر الكتب، وبالطبع لا أقصد ما يمس حرية الرأي والتعبير، بل أقصد ضمان دقة ما يرد فيها من علوم ومعلومات وأحداث يجب مراجعتها من المختصين والأساتذة.

إن الكتاب بالرغم من التطور الكبير المستمر في مجال تكنولوجيا المعلومات، يبقى المصدر الأكثر وثوقية للحصول على العلم والمعلومات والمعرفة، وبه ومن خلاله يتم النقل إلى الأجيال والعصور القادمة. وما زلت أذكر عبارات قالتها الأديبة الدكتورة نجاح العطار عن الكتاب منذ حوالى الثلاثين عاماً، فيها معاني العشق له.

ومن هذا المنطلق على الجهات المعنية بإصدار الكتب والرقابة عليها، وضع الضوابط الصارمة لذلك، وعدم السماح بنشر الكتب غير الموثقة والموثوقة، لتكون مرجعاً أميناً وآمناً وسليماً للقارئ، ولتبقى مخزوناً ثقافياً وعلمياً للأجيال القادمة.

لقد شهدت السنوات الأخيرة إصدار وزارة الثقافة كماً لا يستهان به من الكتب التي لا تجد قارئاً لها، ولا تأتي في إطار تنمية الفكر الوطني والقومي والوعي الحضاري للأمة، وقرأنا في الصحافة انتقادات لآلية الموافقة على إصدار الكتب ومستوى القراء الذين يقررون النشر من عدمه.

لابد من إعادة النظر بآليات وضوابط الموافقة على إصدار الكتب ونشرها، ليكون الكتاب أقرب ما يمكن إلى الحق والحقيقة، بل ليكون كتاباً له قدسيته بعد كتاب الله.

وحرصاً على نقل الكتب المفيدة والصحيحة إلى الأجيال والعصور القادمة، أقترح تشكيل لجان متخصصة لمراجعة الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة وتم حفظها لدى مكتبة الأسد في دمشق، ورفع الكتب التي لا تكون بالمستوى المطلوب حتى لا تبقى شاهداً على ما يجب ألا يكون.

برجك اليوم ٤/١٩

نجلاء قباني

أنت في الشهر الأفضل للارتباط فالسعادة ترافقك وتدخل حياتك بل تدخل منزلك لأنك واضح في أخذك للقرارات وقد تأخذ قراراً مهماً لحياتك العاطفية يؤازرك فيه من حولك.

تكره أن يرى أحد المحيطين بك ضعفك وقد تضايقك مسؤولياتك الاجتماعية والمهنية فاليوم قد يجعلك تقع في بعض الضغوطات المهنية أو الظروف الطارئة.

يوحي هذا اليوم بالعواطف الثابتة والعلاقات الرصينة مع نقاشات عائلية مؤيدة فسيزول القلق بقدرة قادر فأنت تحاول إصلاح الأمور بعيداً عن التشويش الذي انتابك.

تعدك الأجواء بدعم لمصلحتك وأظن أنني سأبارك لك هذا اليوم بإنجاز فأنت رومانسي ويلمع نجمك وتشعر بحماية ومساعدة من العائلة ومن أصدقائك القريبين منك.

لا تكن عصبياً أو مستعجلاً وابتعد عن الخلافات قدر إمكانك وتحكم في ردود فعلك لأن عملك مازال يحمل حالة من عدم الرضا وما زلت تريد إخراج المهارات التي تملكها.

اعتمد على من ينهي عملك المتراكم أو نظم وقتك وانزع عن كاهلك هموماً كثيرة ولا تتحمل مسؤوليات ليست من اختصاصك فزيادة مسؤولياتك الاجتماعية تجعلك مقيداً.

عموماً هذا أسبوع للتغيرات الحاسمة وصدقني أنت بحاجة لذكائك وعلاقاتك الجيدة فقد تفكر في تعديلات أو تغيرات أو إصلاحات منزلية أو تشغلك أمور تخص الأولاد أو التعليم.

احذر بقية اليوم من التوتر والانفعالات السلبية والتحركات المنفعلة وابتعد عن الضغوطات حولك وتحمل محيطك فقد يبدو مستفزا أو معاديا.

الزيارات والتعارف والصداقات سيكون لها أثر كبير وحيز كبير في حياتك فافرح حتى بالإصلاحات الإدارية أو بالتحسن المهني لأن الأمور ستتحسن والحظوظ ستؤازرك.

انتبه إلى أمورك المالية نتيجة التغييرات الحاصلة وعلى الغالب في الفرح وقد تستجد أمور طارئة تجعلك تصرف أكثر مما يلزم كالأعطال أو المرض أو السفر.

تستعد ذهنياً لتدخل مرحلة جديدة بعيداً عن أي صعوبات أو مشكلات كانت قائمة وتطور أغلب أوضاعك لأنك أكثر حرارة وأكثر نشاطاً وتمتلك الرغبة في الجديد.

حاول أن تكون حسن النوايا في أسلوب تفكيرك واجتنب كل ما يسيء إليك أو لغيرك فأنت لن تستفيد شيئاً من إلقاء اللوم على من حولك فهذا بالتأكيد لن يحل مشاكلك.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – فيلسوف عربي – شخصية سينمائية قوية.
٢ – في الجلد – أعطى – مرض جلدي (م).
٣ – نافية – ضياع – حاجز.
٤ – للترجي – للاستثناء – دولة عربية.
٥ – شرط – يفاجئ.
٦ – طنَّ (م) – أود (م).
٧ – شجاع – يوضع في العنق – نجيع.
٨ – والد – شعور – نقود.
٩ – سأم – محتجز.
١٠ – فشل – شتم (م).
١١ – عملة آسيوية – نصف أقبل – مدينة جزائرية.
١٢ – إله – تقبيل – للتعريف (م).

عمودي:

١ – فنانة سورية – مضيء.
٢ – شجاعة – نقود – من المنبهات (م).
٣ – حرف ناصب (م) – أواجهه.
٤ – شهر قمري – نصف زائد.
٥ – متشابهان – اشتعال.
٦ – ترياقي – من أدوات الحرب.
٧ – حرف استفهام – من الفواكه (م) – يسهل.
٨ – إله – خارج عن الدين والقانون – للتأوه (م).
٩ – في الشجرة (م) – دنوه (م).
١٠ – جدها في مبروك – نسق – أساس (م).
١١ – صراع ومعركة (م) – حزن وعزاء – حرف ناصب (م).
١٢ – ممثل مصري.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١							■					
٢					■				■			
٣			■					■		■		
٤			■				■				■	
٥					■						■	
٦		■		■	■	■			■			
٧					■	■				■		
٨	■			■			■	■	■			
٩				■						■		■
١٠		■						■			■	■
١١			■			■						■
١٢			■	■	■					■		

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ن	س	ي	ب	ع	ر	ي	ض	هـ	■	ع	ز
٢	س	ب	ل	■	د	■	ع	ا	م	■	ن	هـ
٣	ر	■	ح	ل	ا	ل	■	م	ر	ح	■	ي
٤	ي	ا	■	ي	■	■	ي	ر	■	■	س	ر
٥	ن	ب	ا	ل	غ	■	ا	■	ع	ا	م	ر
٦	ا	■	■	د	ي	س	■	ا	م	ن	■	م
٧	ل	م	ا	■	و	س	ي	م	■	■	ب	ض
٨	ح	ل	ب	■	م	■	ح	■	د	ي	ر	ا
٩	ك	■	ل	ي	■	ب	ن	ع	■	م	هـ	ن
١٠	ي	ن	■	ا	ن	ا	■	ا	ا	ا	ا	■
١١	م	ن	ا	ا	ب	و	ح	م	ز	هـ	■	ب
١٢	■	ن	■	ن	ا	ن	ب	ل	■	م	هـ	ر

كلمة السر

كلمة السر مؤلفة من تسعة حروف: ممثلة سورية.

(أجل أحببتك كما أنت.. قادمة من المدى برائحة الورد، والشوق والتعب.. وصدرك الدافئ مرفأ آمن لسفني الراسية.. وعشقت وسادتك ومرآتك الصغيرة.. وشرودك أمام النافذة بعطر ودمع وأحزان..)

ا	ب	ر	ا	ء	ح	ة	ا	م	ن	و	م
ح	و	ا	ل	ش	و	ق	م	هـ	و	ا	ن
ب	م	ر	ف	ا	ا	م	ا	م	ش	ل	ا
ب	و	ع	ش	ق	ت	ك	م	ا	ر	ت	ل
ت	ل	س	ف	ن	ي	ا	ج	ل	و	ع	م
ك	ة	ر	ي	غ	ص	ل	ا	ا	د	ب	د
ا	و	س	ا	د	ت	ك	ا	ل	ك	م	ى
ن	ا	ل	ن	ا	ف	ذ	ة	ب	ع	ط	ر
ت	و	د	م	ع	ص	ن	ا	ز	ح	ا	و
و	ص	د	ر	ك	و	م	ر	ا	ت	ك	ر
ا	ل	و	ر	د	ا	ل	ر	ا	س	ي	ة
ق	ا	د	م	ة	ا	ل	د	ا	ف	ء	ي

SUDOKU

	9			8			3	
	8				4	6		9
3				1				8
8				2	5			6
	4		1				7	
2			9					1
7				4				2
4		2	6				1	
	1			3			5	

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

1	6	2	4	9	8	7	3	5
5	9	4	7	3	2	8	6	1
3	8	7	6	5	1	9	2	4
8	2	5	3	1	9	6	4	7
7	3	1	5	6	4	2	8	9
6	4	9	8	2	7	1	5	3
4	5	8	1	7	6	3	9	2
9	1	6	2	4	3	5	7	8
2	7	3	9	8	5	4	1	6

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	☀ ٢٦°/١٠°	☀ ٢٥°/٧°
حمص	☀ ٢٥°/١٢°	⛅ ٢٣°/١١°
حلب	☀ ٢٤°/١٥°	⛅ ٢٥°/١٣°
اللاذقية	⛅ ٢١°/١٤°	⛅ ٢٠°/١٥°
السويداء	⛅ ٢١°/١٠°	☀ ١٩°/٩°
الحسكة	⛅ ٢٣°/١٢°	⛅ ٢٣°/١٢°

من هو؟

مخرج سوري: إذا جمعت الأحرف:

١ + ٧: حارة
٢ + ٣: قادم
٥ + ٦ + ٤: راية

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: جيني إسبر.